قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً

Say God is the fastest

إعداد

د.عبد الباقي يوسف

Dr. Abdel Baqi Youssef

Doi: 10.21608/jnal.2022.266856

استلام البحث	**٢٥ / ٧ / ٢٠٢٢**
قبول النشر	**١٥ / ٨ / ٢٠٢٢**

يوسف ، عبد الباقي (٢٠٢٢). قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً . ***مجلة الناطقين بغير اللغة العربية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج(٥)، ع(١٥)، ١١٥ – ١٢٠.

http://jnal.journals.ekb.eg

قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً

المستَخلص :

يقول الله سبحانه وتعالى: **[وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ]** سورة يونس الآية٢١. وردَتْ في الجُملةِ الأُوْلَى من الآيةِ الكريمةِ، أربعُ كلماتٍ هي: **[أَذَقْنَا]**، [**رَحْمَةً**]، **[ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ]**. الكلمتانُ الأولَى والثَّانيَةُ، هما للهِ تَعَالَى ذكرُه. الأولى وردَت بنوْنِ العَظَمَةِ **[أَذَقْنَا]**. والثَّانيَةُ: **[رَحْمَةً]**. أي رحمةٌ من اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ.

Abstract:

God Almighty says: [And when the people have given us mercy from after the harm of them, when they have a deceased in our signs, say God, the fastest of the Lord. In the first sentence of the noble verse, there are four words: [We gave us a taste], [Mercy], and [The misfortune that touched them]. The first and second words are for God Almighty. The first responds to the sons of greatness [we gave us taste]. And the second: [Mercy]. Which is a mercy from Allah, the Most Gracious, the Most Merciful.

أدبيات الموضوع:

وجاءَت كلمةُ **[أَذَقْنَا]**. دقيقَةً نعلَمُ منها مسْألةً غايةً في الأهمِيَّة، وهي أنَّ السَّعَةَ التي تكونُ بعد ضيْقٍ، تكونُ لها نكهةٌ خاصَّةٌ لا يتذَوَّقُها، ولا يسْتمْتِع بها سوى الذي عانَى تداعيَاتِ الضِّيقِ. وبذلك فإنَّ الذي يُوْلَدُ في النَّعيمِ، ويعيشُ حياتَه نعيْمَاً في نعيمٍ، لا يمكِنُ له أن يَتَذوَّقَ تلك النَّكْهةَ المُبارَكةَ التي يتَذَوَّقُها ذاك الّذي عانَى وشَقَى حَتَّى، وهذا ما يمكنُ أن أُسمّيَه بالحِرْمانِ في وجهِه الآخر، الحِرْمانُ من المُعَاناةِ، من الشِّدَّةِ، من الضِّيقِ، من بعضِ المُنغّصات. ولذلك يكونُ رخْوَاً، هشَّاً، ركيْكَاً، خَانِعَاً، مُسْتَسْلِمَاً، لا مَقْدِرةَ لديه على المُوَاجهَةِ. بل حَتَّى النَّعِيمُ يمْسِيْ عاديَّاً بالنِّسْبَة لهذا الكَائنِ المُدلَّل الذي يرْفلُ في دَوْحةِ نعيمٍ مُذْ أن فَتَحَ عينَيه على الحياةِ حَتَّى إنَّه يفْقِدُ طعمَ هذا النَّعيمَ، يفقدُ قيْمتَه، يفقدُ لحظاتِ الاستِمْتَاعِ المَجيدَةَ الحَقيقيّةَ به. لماذا؟ لأنَّه فاقدٌ لمشاعِرِ الظَّفَرِ الحَقيقيَّةِ، فهو لم يظْفَرْ بهذا النَّعيمِ الذي يتقَلَّبُ فيه بشكلٍ آليٍ وأُوتُومَاتِيكيٍّ، بل أتَاه جاهزاً، وهو ليس نتيجةَ كدِّه وتعبِه، بل نتيجةَ كدٍّ وتعَبِ الآخَرِين. فلم يبْذُلِ فيه جهدَاً يومَاً من الأيَّامِ.

وهنا تأتِي مرحَلَةُ العِقابِ، عِقابُ النِّعمَة ذاتِها لهذا المُتَطَفِّلِ الهَشِّ، فتُتِيحُ له بعضُ المَسَالِكِ المُنحَرِفَةِ، وتَسْتَدْرِجُه أهوَاؤه إلى مُنْعَرَجَاتِها. وهنا تتَحوَّلُ النِّعمةُ إلى نقمةٍ، وعلى الأغلبِ لا يكتَفِي بمُعاقَبةِ نفسِه فقط، بل بمُعاقَبةِ أبيه أيضاً، كما لو أنَّه يقولُ

له: أنتَ الذي أوديتَ بي إلى هذه النِّهايةِ المَأْساويَّة، لولا أمْوالُك لكنْت إنساناً عاديَّاً وكانَت لي عائلةٌ. أموالُك حرمَتْنِي من الحياةِ الحَقيقيَّة التي كانَت من حقِّي أنْ أعيشَها. أنتَ حرَمْتَنِي من كلِّ شيءٍ، وكنتَ تظُنُّ بأنَّك أَعْطَيتَني كلَّ شيءٍ.

والحَقيقةُ إن مجرَّدَ نهايةِ هذا الابنِ المُذلَّةِ نتيجةَ انْحَرافاتِه، هي عِقابٌ للأبِ أيضاً.

لذلك فإنَّ اللهَ لا يعطِي للإنسانِ كلَّ شيءٍ، لأنَّه يحبُّه، ولولا هذا الحُبُّ، لأعطاه كل شيء. بل أحياناً عندما يكونُ الإنسانُ جائِرَاً يُعاقِبُه اللهُ من خلالِ إتَاحَةِ الأموَالِ والنُّفوذِ والإمْكاناتِ له، وبعدَ شيءٍ من الوقْتِ يتَّضِح بأنّ ذلك كلَّه كان اسْتدْرَاجاً لِما آلَ إليه من مَأْسَاة مُرِيعَة يسْتَحقُّها نتيجةَ إسرافِه في البَطْشِ والطُّغيَانِ.

عن النبي صلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ: "إن الله يملي للظالمِ حَتَّى إذا أخذه لا يفلتُه". فليسَ كلُّ نعمة، نِعْمَةً، بل وبعضُ النِّعمةِ نقْمَةٌ.

[وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ].

مِن الذَّوْقِ، إذا يتذوَّقُ الإنسانُ النِّعَم بمختَلَفِ تَفَرُّعَاتِها. وجاءَت كلمَةُ **[رَحْمَةً]**. لتُنبِّهَ الإنسانَ بأنَّ كلَّ ما يرْفَلُ فيه مِن أشكالٍ وألوانِ النِّعَم، إنّما هيَ برحْمَةِ الله. لماذا برحْمَةِ اللهِ؟ لأنَّ الإنسانَ لا يسْتَحقُّها بعمَلِه، كما أنَّ ذُنُوبَه لا تجعلُه مُؤَهَّلاً لها. فانظُرْ إلى ذُنُوبِك، ثمَّ لو أنَّ اللهَ عاقَبَك بها ما الذي كانَ سيحِلُّ بك؟ لو كانت كلُّ تلك الذُّنوبِ مُخالَفاتٍ بحقِّ القانونِ، والقانونُ ضبَطَكَ بها، ما الذِي كانَ سيَحّلُ بكَ؟

هنا جاءَت كلمةُ **[رَحْمَةً]**. لتبيِّنَ لك هذه الحَقِيقَةَ، وكذلك حَتَّى لا ييأس الإنسانُ إذا كانَ على ذنُوبٍ كثيرةٍ، لأنَّ الرَّحْمَةَ الإلهيَّةَ وسِعَتْ كلَّ ذنبٍ أذنبْتَه عندما تسْتغْفِرُ وتَتُوبُ، ولكنْ عندما تُعانِدُ وتصِرُّ على الفُجُورِ، فإنَّك تجعَلُ نفسَكَ عُرْضَةً للحِرْمَانِ من هذه الرَّحمَةِ، لأنَّك أنتَ لمْ تطلُبْها، ولم تكُنْ مُعترِفَاً بها، بل حَتَّى كنتَ تنكِرُ وجودَ اللهِ، وتسْتَهْزِئ بالقُرآنِ، وبكلِّ أركانِ الإيمانِ، ولَبِثْتَ في ذلك دونَ أن تتَرَاجَعَ قيْدَ أُنمُلَة. لكنَّ هذا ليسَ كلَّ شيءٍ، فمهما بالغْتَ في الذُّنوبِ والعِصْيَانِ، فإنَّ كلمةَ **[رَحْمَةً]**. تُطَهِّرُكَ وتُنَقِّيكَ من كلِّ ما أنتَ عليه من وِزْرٍ، وتجعَلُكُ في صفحةٍ إيمَانيّةٍ مُشْرِقَةٍ في حياتِكَ الجَدِيدةِ، إذا اسْتغفَرْتَ رَبَّك وتبْتَ إليه، وأصلَحْتَ مِن شأنِ نفسِك.

إذن: **[رَحْمَةً]**. تُعطِيْ الإنسانَ ما لا يسْتحِقّ، وبمُوْجِبِها يُصبحُ مُسْتَحِقّاً لها، وهذا اسْتِحقاقٌ جعلَه اللهُ لكَ **[رَحْمَةً]** منه.

الأمرُ الآخرُ: **[مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ]**. وليس: مَسَسْنَاهُم بها.

تبيِّنُ الآيةُ الكريمَةُ بأنَّ النِّعمةَ تكونُ **[رَحْمَةً]** مِنَ اللهِ، لكنَّ الضُّرَّ يجْلِبُه الإنسانُ لنفْسِه. ولا يمكنُ بأيِّ حالٍ من الأحْوَالِ أن يَلْقَى الإنسانُ ظلماً من اللهِ، فالإنسانُ هو الذي يظْلِمُ نفسَه، وما يُصيبُه منْ ضُرٍّ، يكونُ هوَ الذي جلَبَه إلى نفسِه. لكنْ هناك شيءٌ آخر، وهو أنَّ اللهَ يمكِنُ أنْ يأْخُذَ النِّعْمَةَ من إنسانٍ لحكمةٍ منه، وهذهِ النِّعمَةُ لم تكنْ من حَقِّه بَيْدَ أنَّ اللهَ قد تفضَّلَ بها عليه، **[وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ]** هود٩.

النُّزُوعُ هنا للرَّحْمَة، أي للزِّيَادَةِ التي منحَها اللهُ للإنسانِ. وهنا لا يكونُ اللهُ قد ضَرَّ الإنسانَ. **[وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ]** الروم٣٦.
[وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ] الشورى٤٨.
فكلُّ ما ينْعَمُ به الإنسانُ هو من فضْلِ اللهِ عليه:
[وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] النحل٥٣.
لكنْ هلْ إذا تسبَّبَ الإنسانُ لنفسِه بالضُّرِّ انحَرَمَ مِنَ النِّعْمَةِ؟
[وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ] هود١٠.
[وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] الروم٣٣.
[وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ] الزمر٨.
[وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ] فصلت٥١.

هذا بيان لكي يعلمَ الإنسانُ بأنَّ اللهَ قد أنعَمَ عليه **[رَحْمَةً]** منه. رغمَ ما سبَّبه لنفسِه من ضُرٍّ.
عن النَّبيِّ صلَّى اللّهُ عليه وسَلَّمَ: "اللهم إن الخير بيدك والشر ليس إليك".
فاللهُ عزَّ وجلَّ يرْشِدُ الإنسانَ إلى النَّفْعِ، يرْشِدُه كي يتعَرَّضَ لرحمةِ اللهِ، وينْهَاه عمّا يسبِّبُ له الضُّرَّ. لكنَّ الإنسانَ يُخالِفُ اللهَ، ويجْنَحُ إلى الضُّرِّ، فيمَسُّه هذا الضُّرُّ.
إذن: **[مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ]**. المسُّ من التَّمَاسِ، أي يُصبحُ الضُّرُّ على تماسٍ مُباشَرٍ به سواء مادّيَّاً أو بَدَنِيّاً.
[وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا].
المَكْرُ هنا هو عن فئةٍ من النَّاسِ، يكونُ المَكْرُ دَيْدَنُهم، فيعيشُونَ على التَّحايُلِ، ويتَّخِذُون من التَّحايُلِ مِنْهاجَاً لحياتِهم.

على هذا النَّحْوِ، تسَلِّطُ الآيةُ الكريمةُ الضَّوءَ على هذه الفِئَةِ، وتكشِفُ عن تَرْكِيْبَتِها النَّفْسِيَّة، وكيفَ يبلُغُ بها الأمرُ إلى التَّكهّنِ بأنَّها على صَوَابٍ فيْ ذلك.
إذن، تكشِفُ الآيةُ الكريمةُ النِّقَابَ عن هؤلاء، وكيفَ أنَّهم يكونون بين سائر **[النَّاسَ]** بصفةٍ عامّة. وهذا أمرٌ غايةٌ في الأهمّية، فهم يكونون في صُفُوفِ المُسْلِمين كما يكونون في صفُوْفِ غيرِهم.

فجاءَت كلمةُ **[النَّاسَ]** بشكلٍ عامٍّ دوْنَ تخْصيصِ أحدٍ، مثلَ: اليهودِ، أو النَّصَارَى، أو المُسْلِمين، أو الكُفّار، وما إلى ذلك. فلا تَتَفَاجَأْ، ولا تُصْدَمَ عندما يَمكُرِ بك

ماكرٌ سواء أكانَ مُسْلِماً أو غيرَه، سواء أكان مقرَّباً منك، أو لا مَعرِفَةَ لك به، والآيةُ تُطْلِعُك بأنَّ ذلك وَارِدٌ.

فهَؤُلاءِ الذينَ ينْتَمُون إلى عُمُوْمِ **[النَّاسَ] :[لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا]**. توجَدُ في قلوبِهم نزْعَةُ المَكْرِ حَتَّى في آياتِ اللهِ. وهذا اِسْتِئْنَافٌ لسيَاقِ الآية١٢: **[وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ]**.

فالمكْرُ في حقيقتِه هوَ تَخَايُلٌ، لكِنَّه ليس نِفاقاً، لأنَّ المُسلِمَ بالفعلِ يكوْنُ مُسْلِماً دونَ نفاقٍ، لكنَّ هذا لا يعنِي أنَّه بمُجَرّدِ إسلامِه لن يقرَبَه المكْرُ، بل مُمْكِنٌ أن يحْتَلَّه المكْرُ، ويمْسِي مَاكِراً بامتيازٍ أكثرَ منْ أيِّ كافِرٍ.

والآيةُ الكريمةُ هنا قسَّمَتِ المَكرَ إلى قسْمَينِ، قَسمٌ سلْبِيٌّ، وقسْمٌ إيْجَابِيٌّ. وقد نسَبَ اللهُ عزَّ وجلَّ المكْرَ الإيجابِيَّ إلى ذاتِه الكريمةِ، فبمُوَازَاةِ المكْرِ السَّلبِيِّ، ثمَّةُ مكْرٌ إيْجَابِيٌّ. والمَكْرُ الإيجابِيَّ في الآيَةِ يكونُ من كَرَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ورحمَتِه بالإنسانِ الماكِرِ حصرِيّاً، لأنَّ هذا المكْرَ الإيجابِيَّ يأتِيْ كردٍّ على المكْرِ السَّلبِيِّ الذي يَبْدُرُ من الإنسانِ. مَكْراً إيجابيّاً: **[وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]** آل عمران٥٤.

[وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ] الأنفال٣٠. فيكمُنُ العدْلُ في ثَنَايَا هذا المَكْرِ الإيجابِيَّ، ولا ينجُمُ عنه سوى العدْلِ. **[وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ]** النمل٥٠. بمعنى: **[وَمَكَرُوا مَكْراً]** سلبيّاً، فردَدْنا عليْهِم **[وَمَكَرْنَا مَكْراً]** إيْجَابيّاً. **[وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ]**. فما دامَ الله **[خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]**.

كما يُخبِرُنا، فإن الخيرَ يأتِي من الخَيرِ، ولا ذرّة شرٍ واحدةٍ تكمُنُ في الخَيرِ.

طبعاً بعضُ التَّفاسِيرِ يبدُو عليها شيءٌ من التَّسرُّعِ، وبعضُها يتضمَّنُ ترْدِيْداً لِما قد قِيْلَ في ذاك التَّسَرّعِ، المُفْتَقِرِ إلى عمْقِ التَّحليلِ. كما لو أنَّ ما قد قيلَ في ذاك التَّسرُّعِ، أغلَقَ بابَ أيِّ تفسيرٍ غيرِه، وحسَمَ المَعْنَى الإلهيَّ في هذه الآيةِ أو تلك. وهذا بالتَّأكيدِ لا يكونُ دقيقاً مهما أُوْتِيَ المُفسِّر من عِلمٍ وحُجَّة، بل ومهما عَمِلَ في تفسيرِه بتأنٍّ ورَوِيَّة، ناهيكَ عن التَّسرّعِ. لأنَّ القرآنَ كما هوَ كِتابُ الحَاضِرِ في كلِّ حَاضِرٍ، فهو كذلك كتابُ المُستَقبَلِ في كلِّ مُستَقبَلٍ. ودوماً يحتَوِيْ على الجَدِيدِ لكلِّ جيلٍ جديْدٍ، وبذلك يُتيحُ لكلِّ جيْلٍ قراءةً جَدِيدَةً، تتَمخَّضُ عنها مكتَشَفَاتٌ جديدةٌ ما عرفَها جيلٌ سبَقَه. لماذا؟ لأنَّ هذه المُنْجَزَاتِ الجَدِيدةَ التي تحقَّقَتْ، لم تكنْ مُحَقَّقةً في جيلٍ سابِقٍ، وبالتّالي كانتْ قراءَتُه وفقَ المُستَجِدَّات التي كانَتْ في عصرِه.

وهذا يؤكِّدُ بأنَّ أيَّ مُفَسِّرٍ مهما برَعَ في تأْوِيْلٍ أو شرْحٍ، فإنَّ كلامَ اللهِ تَعَالَى شَأْنُه، يبقَى يغْتَنِي بالمَزِيدِ الذي لا ينْضُبُ. ولكلِّ جيلٍ حِصَّةٌ من اكْتِشَافِ هذا الجديدِ وفْقَ المُنجَزَاتِ الحديثَةِ التي يبْلُغُها. ولذلك فإنَّ بعضَ التَّفاسيرِ تكونُ فادِحَة مثلَ أنْ تقوْلَ بأنَّ

مكْرَ اللهِ يكمُنُ وهو يسْتَدْرِجُ المَاكِرِين إلى مزيدٍ من المَكْر حَتَّى يُوقِعَ عليهم العِقابَ وقد بلغُوا أوْجَ مكْرِهم. وهذه من التَّفَاسيرِ غيرِ الدَّقيقةِ، فكيفَ يكون **[خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]**.
وبذاتِ الوقتِ يستدرجُ الماكرَ إلى مزيدٍ من مكرٍ ليُضاعِفَ عليه العِقابَ؟ والحَقِيْقَةُ، هو إمهالُ خَيرٍ لعلَّ الماكِرَ يتَراجَعُ، فاللهُ عزَّ وجلَّ يَتيْحُ له أن يستمرَّ ولا يُعاجِلُه. فلو كانَ اسْتِدْراجاً للمزيدِ، لَما تركَ بابَ التَّوْبةِ مَفْتُوْحَاً له، فما دامَ قدْ أتاحَ له التَّوبةَ، وأَمْهلَه، فهذا الإمهَالُ يكوْنُ لإتاحَةِ المزيْدِ من فُرَصِ التَّوبَةِ له. لكنَّه إذا عاندَ واسْتكْبَرَ، سَيُسِيءُ استخدامَ هذا الإمهالِ، ليَسْتَفْحِلَ في الانْتهاكَاتِ أكثرَ: **[زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ]** الرعد٣٣. **[زُيِّنَ]**. جاءَت للمجْهُولِ، لأنَّ الزِّينةَ هنا يمكنُ أن تكونَ للأَهْواءِ، لرفقَةِ السُّوْءِ، للشَّيْطَانِ، وما إلى ذلك. لكنْ إلى جانبِه يكونُ مَن أحسنَ استخدامَ هذا الإمْهَال واغْتَنَمَه للتَّراجُعِ والإصْلَاح.

بل إنَّ اللهَ ينْهَى المَاكرَ عن الاسْتمرارِ في مكْرِه، لأنَّه يسْتدْرِجُه إلى مزيدٍ من المَكْرِ، وذلك عندما يحذِّرُه من مغبّةِ الاستِمرارِ في المَكْرِ، وبذاتِ الوقتِ يمهلُه، ولا يُعاجِلُه في العِقابِ: **[وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ]** فاطر٤٣. بل إنَّ هناك تحذيراً شديداً بأن الإمهالَ هو للتَّراجُعِ، وإذا استمَرَّ المَاكِرُ في مكْرِه بعد فُرَصِ الإمهالِ: **[فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ]** النمل٥١.

إذن، مكرُ اللهِ هو مكْرٌ طيِّبٌ فيه النَّفْعُ والحَثُّ على الإصْلَاحِ والصَّلَاحِ، لأنَّ اللهَ **[خَيْرُ الْمَاكِرِينَ]**. يتيْحُ لهم الفُرَصَ حَتَّى يتراجَعُوا، رغمَ أنَّهم لا يسْتَحِقُّون، فمكْرُهُم يجلِبُ لهمُ الضَرّاءَ التي **[مَسَّتْهُمْ]**. لكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُذِيقُهم: **[رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ]**. وهنا لعلَّهم يعتقِدُون بأنَّ اللهَ يدعُهم ولا يُعاقِبُهم، وهو يتيحُ لهم المزيدَ من النِّعْمَةِ والتَّمْكِينِ، **[لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا]**. ينظُرُون إلى آياتِ اللهِ بشيءٍ من الإسْتِهزَاءِ، فها هُم يرْتَكِبُون الأوْزَارَ العظِيمَةَ، ولا يجدُون العِقَابَ، بل يزْدَادُون نعِيمَاً. وحَتَّى إذا **[ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ]**. فإنَّ اللهَ يكْشِفُها عنهُم، ويعِيْدُهم إلى ما كانُوا عليهِ من نعِيْمٍ. وهنا بدَلَ أن يشكُرُوا اللهَ ويصلِحَوا، يُصبِحُ **[لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا]**.

هنا وأيضاً من المكْرِ الإيجَابيِّ في الآيةِ الكريمةِ، يأتي تحذيرُ اللهِ، بأنه قادرٌ أن يوقِعَ عليهمُ العِقابَ بشكْلٍ **[أَسْرَعُ]** ممّا يتَوقَّعُونَ، وهم فِي أوْجِ مكْرِهم واسْتهْزَائِهم: **[قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً]**. عندما يحِيْنُ وقتُ عِقابِ اللهِ، وتكُونُون قد أخَذْتُم وقتَكُم الكافِيَ، وأمهلَكم الله إمهالاً تلو إمهال، يكونُ العِقابُ سريعَاً عليكم.

[إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ]. فكلُّ هذا المكرِ يتراكَمُ بعضُه على بعضٍ في صَحَائفِكُم، والملائكةُ الحافظون **[يَكْتُبُونَ]**. كلّ هذا المكْرِ عليكُم، وأنتم تُصِرِّون عليه. وقبلَ حصوْلِ ذلك، يُتيحُ اللهُ لكم فرَصَ التَّراجُعِ والتَّوْبَةِ.